الاستراتيجية الاشورية تجاه الجزيرة العربية في العصر الاشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)

م. محمد يوسف محمد
جامعة سامراء- كلية الآداب

أ. م. د. رياض ابراهيم محمد
جامعة سامراء- كلية الآداب

الملخص

بنيت الاستراتيجية الاشورية بشن الملوك الآشوريون حملات عسكرية متتالية واتبعوا سياسة ثابتة في تدعيم اعمالهم ببناء نظام اقتصادي قوي من خلال إخضاع المدن والأقاليم والقرى المجاورة لبلاد آشور لتحقيق الاهداف الاقتصادية للإمبراطورية الاشورية. وللأهمية الاقتصادية والسياسية والعسكرية للجزيرة العربية ولضمان السيطرة على طرق القوافل التجارية جهزت الحملات العسكرية الآشورية الى الجزيرة العربية للحصول على غنائم الحرب والهدايا والاتاوات واعادة فرضها، وكثيراً ما اشتملت على مواد وسلع هي أصلاً غير متوافرة في بلاد آشور وموجودة في الجزيرة العربية.

الكلمات المفتاحية: بلاد آشور، الجزيرة العربية، التجارة، سنحاريب.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 8, Issue 26, Nov 2021
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

The Assyrian Strategy towards the Arabian Peninsula in the Neo-Assyrian Era (911-612 BC)

Reyadh Ibrahim Mohamed
Mohammed Yusef Mohammed

University of Samarra- College of Archaeology

Abstract

The Assyrian strategy was built by the Assyrian kings launching successive military campaigns, and they followed a steady policy of strengthening their actions by building a strong economic system by subordinating the cities, regions and villages bordering Assyria to achieve the economic goals of the Assyrian empire and the economic, political and military importance of the Arabian Peninsula and to ensure control over the commercial caravan routes. The Assyrian military campaigns were the source. The basis for obtaining and re-imposing war spoils, gifts and royalties, and often included materials and goods that are not available originally in Assyria and are present in the Arabian Peninsula.

Keywords: Assyria, Arabia, Trade, Sennacherib.

المقدمة

يعد العصر الاشوري الحديث واحد من أبرز العصور التي مرت على تاريخ العراق القديم، اذ تعاظمت قوة اشور بشكل كبير خلال هذا العصر واتسعت رقعة الدولة الاشورية لتشمل معظم الشرق الادنى القديم امتدت من اسيا الصغرى شمالاً الى الخليج العربي جنوباً ومن عيلام شرقاً الى وادي النيل غرباً.

اذ بنيت الاستراتيجية الاشورية بشن الحملات العسكرية الى كافة الجهات وان لهذه الحملات دوافع عدة منها اقتصادية والتي تمثلت بافتقار بلاد اشور الى كثير من المواد الخام الضرورية في عملية البناء مثل المعادن والأخشاب والأحجار الكريمة المتوافرة في المناطق المجاورة لبلاد أشور منها الجزيرة العربية. كما اتخذ الأشوريون من الدافع الديني المتمثل في توسيع رقعة الدولة الأشورية عن طريق الحملات العسكرية لتحقيق رغبات الإله أشور في السيطرة والنفوذ.

وللأهمية الاقتصادية والسياسية والعسكرية للجزيرة العربية ولضمان السيطرة على طرق القوافل التجارية وإنهاء التمرد واصل الملوك الاشوريون تجهيز الحملات من تأمين تجارة آشور المسؤولة عن الرفاه الاقتصادي والاستقرار السياسي كان عليهم ان يوجهوا عنايتهم إلى الجبهة الجنوبية والجنوبية الغربية (الجزيرة العربية) ولمشاكسة القبائل فيها ولمنعهم من إثارة المشاكل وتهديدهم طرق التجارة الآشورية. وهكذا كانت الحملات العسكرية الآشورية المصدر الاساس للحصول على غنائم الحرب والهدايا والاتاوات واعادة فرضها، وكثيراً ما اشتملت على مواد وسلع هي أصلاً غير متوافرة في بلاد آشور وموجودة في الجزيرة العربية.

المبحث الاول: جغرافية شبة الجزيرة العربية:

تعد اكبر شبه جزيرة في العالم وأطلق عليها الجغرافيون العرب جزيرة العرب[١]، إذ يحدها الخليج العربي من الشرق والمحيط الهندي من الجنوب متمثلاً ببحر العرب واليمن وخليج العقبة من الغرب[٢]. وتقع بين خطي عرض ١٢ شمالاً واثنان جنوباً وخطي طول ٤٢م–٥٨ شرقاً[٣]. وهي بهذا تمتد من خليج العقبة حتى مصب شط العرب في الخليج العربي[٤]، ويبلغ طولها من خليج العقبة الى باب المندب ٢١٠٠كم وعرضها من راس محمد في شبه جزيرة سيناء حتى مصب شط العرب في البصرة ١٣٠٠كم وعرضها من باب المندب الى مسقط ٢٠٠٠كم[٥]. اما طبيعتها فيها كل الظواهر الجغرافية من جبال واودية وسهول وتلال وهضاب واعلى منطقة فيها جبال السراة في الغرب[٦]. ومن الظواهر الجغرافية لشبة الجزيرة العربية هي الحرار التي تكثر بسبب البراكين والدهناء وتشمل مساحة واسعة من الاراضي والنفوذ وهي مناطق جافة والدراء وتحتوي على الرمال واراضي سهلية[٧].

أقسام شبه الجزيرة العربية.

١.**تهامة:** وهي مناطق ساحلية تمتد من اليمن جنوباً الى العقبة شمالاً وتختلف مساحتها حسب ميل السلاسل الجبلية المحاذية للبحر ويطلق عليها (الغور) بسبب انخفاضها لذا امتاز مناخها بشدة الحرارة والرطوبة[٨]. وتوجد عدة تهاتم منها ما يدخل في الحجاز واخرى في اليمن واهم مدنها الحديدة ومخا وزبيدة كذلك الحديبة وتبوك[٩].

٢.**الحجاز:** وهي منطقة ذات طبيعة جبلية تمثلت بسلسلة جبال السراة التي تحجز الارض العالية في نجد وبين تهامة تمتد من اليمن جنوباً حتى العقبة شمالاً[١٠]. وتتخللها وديان كثيرة ولأهميتها فقد نشأت العديد من المدن على طريق القوافل التجارية القديمة كالمدينة والطائف وخيبر ووادي القرى وابرز مدنها مكة[١١].

٣.**نجد:** تشمل مساحة شاسعة من الجزيرة العربية وتكون في وسطها من الشمال تهامة واليمن ومن الجنوب العراق والشام وتتخللها الواحات والعيون ذات التربة الخصبة وتقسم الى قسمين نجد العالية وتحدها الحجاز وتهامة ونجد السافلة العراق والشام[١٢].

٤.**العروض:** تضم العروض اقسام عدة سميت بالعروض لوقوعها بين اليمن ونجد والعراق[١٣]. وتدخل ضمنها شبة جزيرة قطر والاحساء والكويت وتوجد في هذه المنطقة الاودية وابار المياه مما ساعد في نشوء مدن عدة [١٤].

٥.**اليمن:** تتمثل بالجزء الجنوبي من جزيرة العرب وتضم اليمن وحضرموت ومهرة وظفار وعمان حتى الركن الشرقي من ساحل الخليج الغرب[١٥]. واختلفت الآراء حول تسمية اليمن اذ

يعت ان الاسم مشتق من اليمن والبركة لخصوبة ارضها وسميت باليمن السعيدة في حين يرى اخرون سبب التسمية لا نها تقع يمين مكة(١٦).

اما الجغرافيون اليونانيون فقد قسموا شبه الجزيرة العربية الى ثلاث اقسام:

١- العربية الصحراوية وكان سكانها من الارامين والانباط وهي مناطق صحراوية تسكنها القبائل العربية التي تعتمد على الرعي (١٧).

٢- العربية الصحراوية وتشمل البادية الواسعة بين العراق والشام وسميت نسبة الى طبيعتها الصحراوية مركزها الانباط وسيناء(١٨).

٣- العربية السعيدة: وتضم معظم اجزاء شبه الجزيرة العربية وتتطابق مع المنطقة التي أطلق عليها الجغرافيون العرب بلاد العرب(١٩). وبهذا فأن جميع التسميات تنبع من الواقع الطبيعي لها وتبين الترابط العريق لشبه الجزيرة العربية وسكانها العرب ولغتهم العربية(٢٠).

يمتاز مناخ الجزيرة العربية بانه مداري في الجنوب وصحراوي في الشمال ومعظم اجزائها ذات الاقاليم المدارية بين الحار فيهب فيها نوعان من الرياح هما رياح السموم ورياح الصبا وتميزت الامطار فيها بانها متباينة بين اقسامها فالشمالية جيدة والوسطى قليلة والجنوبية متوسطة الامطار منتظمة(٢١).

اما التضاريس فيها الجبال والهضاب والاودية ونتيجة تنوع التضاريس فقد مكن العرب من العيش وفق نمط الحياة البدوية والحضرية وادى الى نشأة طرق للقوافل تخترق الجزيرة العربية في جميع الاتجاهات واهم الطرق التجارية هي الطريق الشرقي الذي يمر بالحجاز الى بلدان الخليج العربي والعراق وبالعكس والطريق الغربي من اليمن وثم الحجاز بتجاه بلاد الشام ويوجد طريق ثالث بينهما عير الجزيرة العربية الفراتية(٢٢).

ونتيجة لهذا الاختلاف فقد امتازت الجزيرة العربية بتنوع الزراعة واهم ما اشتهرت به بلاد اليمن الجوز واللبان والصموغ والمر كذلك الحنطة والشعير والذرة والفواكه. وتوجد انواع من الحيوانات كالأبقار والاغنام والبغال والماعز والخيل والجمال وغيرها وامتازت الاخير بمكانة خاصة عند العرب(٢٣) .

المبحث الثاني: محددات الاستراتيجية الاشورية تجاه الجزيرة العربية

الاستراتيجية عبارة عن عملية مستمرة لتنظيم وتعظيم الجهود اللازمة لتنفيذ القرارات وتوفير المعلومات الكافية وتعظيم الجهود اللازمة لتنفيذ تلك القرارات من خلال نظام مستمر للمعلومات(٢٤).

بنيت الاستراتيجية الاشورية بشكل متكامل من خلال ملوكها الذين بفضلهم تمكنت بلاد اشور ان تصمد بوجه التحديات وتحافظ على وحدة بلاد الرافدين وتسيطر وتقود سياسية الشرق الادنى القديم فترة من الزمن استمرت ثلاث قرون (٩١١-٦١٢ق.م)[٢٥].

تمكنوا من تأسيس اعظم دولة مترامية الاطراف تمتد من الخليج العربي جنوباً الى اواسط اسيا الصغرى شمالاً ومن ايران شرقاً الى مصر والبحر المتوسط غرباً ووقوفها بوجه الكثير من الاقوام وبذلك اخذت الاستراتيجية الاشورية الطابع العسكري فأصبحت الحملات العسكرية الاشورية هي الصفة المميزة والغالبة للعصر الاشوري الحديث[٢٦].

أولاً: المحددات السياسية للاستراتيجية الاشورية .

تعامل الملوك الاشوريين بحزم وشدة وقوة ودائما عملوا لمد نفوذ الدولة الاشورية ومنهم الملك شلمنصر الثالث (٨٥٨- ٨٢٤ق.م) الذي يعود اقدم ذكر للعرب في حولياته الى عام (٨٥٣ق.م) بعد اتحاد الدويلات الآرامية بقيادة ملك دمشق وحماه للوقوف بوجه تعاظم قوة الاشوريين[٢٧]. توجهت القوات الاشورية الى مدينة قرقر التي تجمع فيها الحلف المكون من اثنى عشر ملكاً[٢٨]. وتمكن الاشوريون بقيادة شلمنصر الثالث من النصر عليهم وتخليد انتصاره على منحوتة التي تعرف بالمنحوتة السوداء اذ جاء فيها (..... و ١٠٠٠جمل من العرب بقيادة جندبو ملك العرب ...) ويعد اقدم ذكر للعرب الذي ارتبط مع الجمال حيث كانو يسكنون البوادي الشمالية لجزيرة العرب امتدادا الى منطقة الجندل في وادي السرحان[٢٩]. وعلى ما يبدو ارتبط العرب مع ممالك بلاد الشام بمصالح تجارية ولاسيما دمشق وحماة وحمص التي تقع على طرق التجارة العربية[٣٠]. التي تتعارض مع التوجهات الاشورية التي شكلت فيها التجارة والطرق التجارية الاساس للدولة الاشورية وتامينها مما حد بهم التحالف ضد الاشوريين والتخوف من حملاتهم المتكررة، وان هذه المشاركة في الحلف تدل على القوة التي يمتلكها العرب في ذلك الوقت[٣١].

تتضح الاستراتيجية الاشورية ضد الجزيرة العربية في عصر الملك تجلات بليزر الثالث (٧٤٥- ٧٢٧ق.م) اذ شكلت القبائل العربية تهديداً عسكرياً للأشوريين مما حدى بالملك تجلات بليزر الثالث من تجريد حملات عسكرية ذكر العرب فيها ومنها السنة الثالثة من حكمه جهز حملة عسكرية ذكرت فيه الملكة زبيبة ملكة العرب دفعت الجمال للأشوريين كإتاوة [٣٢] وهي من قبيلة قيدار (qedar) العربية[٣٣] عام (٧٤٢ق.م)[٣٤]، كما ورد اسم الملكة شمسة ملكة العرب فيحوليات الملك اذ يذكر اخضعت الملكة العربية شمسي[٣٥]. ونتيجة لكثرة التمردات التي قامت بها الملكة شمسة عني الملك تجلات حكام اشوري يتبع للمك مباشرة وتحقيق التوجهات الاشورية

في المنطقة وعدم العصيان ودفع الضرائب والاتاوات[٣٦]. وقد خلد هذا الانتصار على احد المنحوتات الجدارية لقصر بارسيب اذ صورت الملكة ومعها شخصان ذات ملابس عربية.

اذ يذكر في احد النصوص نقرأ: (شمسي ملكة العرب التي احنثت بالقسم ... العرب في سبأ.... قومها في معسكرها ... فرضت عليها ... وضعت عند اقدامي ...السبأيين...)[٣٧]. وان ورود السبأيين يدل على مدى اهتمام الاشوريين بالتقدم داخل الجزيرة العربية وفرض الهيمنة العسكرية داخلها بمعنى ان النفوذ الاشوري وصل الى اليمن[٣٨]. وفي نص اخر يعود الى السنة الثالثة لتجلات بليزر الثالث يذكر الاعداد الكبيرة التي تم قتلها (١١٠٠) شخص من قوم شمسة كما ورد ذكر فيها قبائل عدة سيطر عليها موسى mussa badnu Hiappa خاتية Hattia idibaiu[٣٩].

بل اخذت الاستراتيجية الاشورية لهذا الملك ضم هذه القبائل في تحالف واعطاء بعض الاشخاص منهم صلاحيات ومسؤوليات ادارية تابعة للهيمنة الاشورية اذ اوكل مهمة المسؤولية الى ايديبعلو في عسقلان[٤٠]. احد الشيوخ واعطاه نفوذ ووصل حتى مدينة غزة وبذلك ضمن ولاء القبائل العربية وبالتالي أمن الطرق التجارية بين الجزيرة العربية والساحل الفلسطيني دون قتال[٤١].

استمرت التوجهات الاشورية في عصر سرجون الاشوري (٧٢١-٧٠٩ق.م) نحو الجزيرة العربية التي عملت على التمردات والعصيان وتهديد الطرق التجارية بين بلاد الشام وفلسطين وبلاد اشور اذ قاد حملة عسكرية في عام (٧١٥ق.م) تمكن من الحاق الهزيمة بهم وقتل اعداد كبيرة منهم وترحيل الناجين منهم الى مدينة السامرة في فلسطين[٤٢]. وذلك من اجل تحويل طرق التجارية الخاصة بالتوابل والبخور وتأمينها من غارات القبائل العربية. كما عمل على ترحيل قبائل عربية الى منطقة بالقرب من العريش في مصروعين عليهم مسؤولاً يتبع مباشر للملك[٤٣]. ومن القبائل التي ورد ذكرها قبائل ثمود اذ يذكر (... في السنة السابعة من حكمي دمرت قبائل ثمود العرب الساكنين في بلاد نائية بعيدة في الصحراء ... الذين لا يعترفون باي مسؤول كبير او صغير ...)[٤٤]. كما تمكن هذا الملك من السيطرة على القبائل العربية في بلاد بابل وسحقهم وفرض عليهم الضرائب[٤٥].

اتخذت الاستراتيجية الاشورية صوب الجزيرة العربية اتجاه اخر في عهد الملك سنحاريب (٧٠٥-) اذ ذكر في حملته الاولى الى بابل مهاجمة القبائل العربية[٤٦] التي يتزعمها بسقانو (basqanu) اخو ملكة العرب ياتعي (iatie) اذ نقرأ: (باسقانو اخو ملكة العرب ياتعي مع جيشه حاصرتهم واستوليت على عرباتهم وجمالهم ...)[٤٧]. نستشف من هذا النص مدى القوى التي

يمتلكها العرب ومساندتهم المتمرد مردوخ – بلادن الثاني فبعد الحملة الثامنة لسنحاريب على بابل جهز حملة خاصة على القبائل العربية عام (٦٨٩ ق.م) التي تسكن في محيط بابل من الجهة الغربية وفي اطراف الجزيرة العربية[٤٨]. الغاية السيطرة على القبائل العربية وعدم تهديدها وسيطرتها للقوافل التجارية المارة بالمنطقة اذ نقرأ: (تلخانو ملكة العرب التي تعيش مع حزائيل وسط الصحراء... تملكهم الرعب في تلك المعركة ...) واستمر بالتقدم الى عاصمتهم دومة الجندل اذ نقرأ: (ادماتو التي يسكنون فيها والتي في وسط الصحراء اذ لا يوجد ماء ولا طعام...)[٤٩] . وتمكن من اسير الملكة تلخانو والاميرة المسمى توبعة(tubua)[٥٠].

ويتبين من خلال الحملة دور قبيلة قيدار وزعيمها حزائيل وارتباطه مع دومة الجندل بتحالفات والتي تعتمد على حماية وتسير القوافل التجارية[٥١]. بهذه الحملة التي تعبر عن العبقرية الاشورية الفذة للسيطرة على التجارة والقوافل التجارية وخاصة دومة الجندل باعتبارها المحطة الاساس التي ترتبط بالحيرة ودمشق والمدينة المنورة [٥٢]. ونتيجة لهذه الاستراتيجية الحازمة ذات البعد العسكري ضمن سنحاريب ولاء القبائل العربية وخضوع ممالكها وازدادت المصالح المشتركة بين الطرفين[٥٣].

امتازت سياسة ابنه اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) باتباع استراتيجية جديدة تميزت بالجمع بين الشدة واللين لتحقيق غايات بعيدة لذلك دخل في تحالفات مع القبائل العربية لضمان ولائها مقابل دفع الضرائب والجزية والولاء للدولة الاشورية[٥٤]. اذ اعلان المتمرد حزائيل ملك قيدار ولاءه لاسرحدون في مدينة نينوى[٥٥]. وبتطبيق هذه الاستراتيجية الجديدة تمكن اسرحدون من تحقيق هدفه الاساس المتمثل بغزو مصر والتي تعد المحرض الرئيس ضد الدولة الاشورية ولا يمكن السيطرة عليها الا من خلال القبائل العربية [٥٦]. التي تساعده في عبور الصحراء عن طريق جمالهم وحملهم المياه وبالتالي تامين وجودهم في المنطقة واستقرارهم فيها[٥٧] .

ومن هذه السياسة لاسرحدون فقد اعفا عن حزائيل وقبول الهدايا الكبيرة التي جلبها وقدم الولاء والطاعة واعادة تماثيل الالهة العربية التي سلبها والده سنحاريب الى حزائيل ودون عليها اسم الاله اشور واسم الملك اسرحدون والقابه ليظهرو الولاء والطاعة وعدوم الحنث بالقسم واليمين[٥٨].

ولكي يضمن سيطرته على القبائل العربية عين تبوعة (tubua) ملكة عليهم والتي تربت في نينوى وعاشت في القصر الملكي وحملت معها الالهة العربية [٥٩]. ولم يكتف بذلك وانما لجيء الى عقد معاهدة مع حزائيل ملك قيدار وبعد وفاته اصبح ابنه يطع مكانه الذي قدم ولاه

لاسرحدون وعمل على دعمه ضد معارضيه [٦٠]، اذ يذكر اسرحدون (... ارسلت جيشي لمساعدة يطع الذي تمكن من اخضاع كل العرب وقيدو وهب والمقاتليين الذين معه...)[٦١].

وعلى الرغم من ذلك فقد تمرد يطع مرة ثانية وبدء بالهجوم على الحاميات الاشورية مما حدى باسرحدون تجريد حملة عسكرية ضده فرض من خلالها السيطرة على المنطقة واخذ تماثيل الالهة اسرى وهروب يطع الى وسط الصحراء[٦٢]. تمكن من خلالها الجيش الاشوري السيطرة على مناطق كبيرة من بلاد العرب والتي لم يصل إليها احد من الملوك الاشوريين من قبله اذ يرد في حملته وصوله الى بلاد بازو (baz/su) ووصفت المنطقة التي مرت بها الحملة العسكرية بشكل دقيق اذ قطع مسافة اكثر من ١٥٠٠كم [٦٣]. وتمكن من قتل ثمانية ملوك في هذه الحملة واخذ تماثيل الالهة الى نينوى[٦٤].

اما سياسة الملك اشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م) سار على نهج سياسة والده في التعامل مع العرب اذ اقر تثبيت يطع ملك بلاد العرب واعاد تماثيل الالهة التي سلبها والده[٦٥]. الا ان يطع نكث القسم مما استوجب من الملك اشوربانيبال تجهيز الحملة التاسعة الى الجزيرة العربية للقضاء على يطع ملك بلاد العرب وتحالف مع ابياتو وايامو ابناء تعري وتحريضه القبائل العربية كافة ودعمه ووقوفه مع التمرد في بابل ضد اشور وسار الجيش الاشوري بتجاههم وتمكن من القضاء على الحلف الا ان يطع هرب الى بلاد الانباط وحاكمها ناتنو (natnu) والذي خاف كثير من لجوء يطع اليه مما حدى به عقد معاهدة ولاء وطاعة لاشوربانيبال بسبب يطع[٦٦] .

وكان من ضمن بنود الحلف والاتفاق حضور يطع الى نينوى للاعتذار من الملك اشوربانيبال والصفح عنه الا ان الملك اشوربانيبال احتجزه وعامله بقسوة واحتقار ووضعه مع الكلاب واهانه وقتله مما اثار هذا العمل حفيظة الانباط فتحالفوا مع زوجة يطع عدية(adia) واموالادي ملك قيدار وهاجموا ارض مواب حليفة اشوربانيبال التي تخضع للاشوريون الا ان الكفة كانت من نصيب موأب وتمكنو من القضاء على الحلف واسروا امولادي ملك قيدار وعدية زوجة يطع وقيدوهم وارسلوهم الى نينوى مقيدين وعاملهم اشوربانيبال بقسوة وعنف[٦٧].

وقد حاول ابيات وايامو ابناء تعري مساعدة شمش – شوم – اوكن الذي تمرد على اشوربانيبال وفك الحصار عن بابل مما حدى باشوربانيبال تجريد حملة عسكرية ضدهم فعبرت الجيوش نهري دجلة والفرات وتعقب المتحالفين وقتل منهم الكثير وفر الباقي الى بابل واصابتهم المجاعة وحاولوا الهرب من بابل وتعقبهم الجيش الاشوري وقتل منهم الكثير واستطاع ابيات من الوصول الى اشوربانيبال وعفى عنه وعينه بدل يطع ملك العرب[٦٨].

لكنه مرة اخرى ينقض العهد ويتحالف مع ملك الانباط وتقديم المساعدة لشمش – شوم – اوكن ومهاجمة الاشوريون مما استدعى اشوربانيبال التحرك الى بلاد الانباط[٦٩] . ويصف المنطقة التي سار فيها الجيش الاشوري وسيطرته على عدة مدن نبطية والوصول الى القيداريين ونجح بحملة اخرى من اسر ابيات وايامو ابناء تعري وارسالا الى نينوى وقتيلا فيها[٧٠].

ثانيا: المحددات الاقتصادية للاستراتيجية الاشورية .

خاض الاشوريون حروب عدة لا حكام السيطرة على الطرق التجارية ومنافذها ومراكز الثروات المهمة وقد ادرك الاشوريون ان طرقا هامة للتجارة تخترق شمالي شبه الجزيرة العربية تسيطر عليها الممالك والقبائل العربية وذلك لامتلاكهم احدى اهم وسائل التنقل عبر الصحاري وقطع المسافات الطويلة الا وهو الجمل الذي يعد الاساس في ممارسة التجارة العربية وان اقدم الاشارات التي تشير الى امتلاك العرب لهذه الوسيلة وبأعداد كبيرة جدا ما جاء ذكره في حوليات الملك شلمنصر الثالث لملك العرب جندبو الذي شارك بالف جمل في حلف معركة القرقار عام (٨٥٣ ق.م) التي انتصر فيها الاشوريين[٧١].

ونتيجة الاحتكاك والارتباط مع العرب ادرك الاشوريون اهمية هذا الواسطة في التجارة الاشورية اذ كان لاستخدامه في النقل في بلاد اشور الاثر البارز في اجتياز البوادي البعيدة من الجزيرة العربية[٧٢] .

وللأهمية الاقتصادية التي تشكلها الجزيرة العرية بالنسبة لبلاد اشور اتجهت انظار الملك تجلا بليزر الثالث نحو المنطقة العربية والاستفادة من امكانياتها الاقتصادية وتوظيفها في خدمة الدولة الاشورية وطموحها في التوسع والسيطرة على معظم الشرق الادنى القديم لذا تمكن بحنكته الادارية والعسكرية من استخدم القبائل العربية في السيطرة وبسط النفوذ على الاراضي المتاخمة لحدود مصر اذ نقرأ: (... نصبت ادبئيل مسؤولا... وتسلمت الضرائب)[٧٣]، وان ادبئيل هو احد زعماء العرب كي يضمن استقرارهم في المنطقة وعدم تهديد التجارة والاتصال وجعلها خاضعة للسيادة الاشورية وتوحيدها وتامين الطرق التجارية ودفع عدد منهم الضرائب اذ يذكر تجلات بليزر الثالث مقدار الضرائب التي كان يجبيها من العرب[٧٤]، اذ نقرأ: (زبيبة ملكة العرب فرضت عليها الذهب والفضة ... وجلود الفيلة والعاج والملابس الصوفية والكتانية والماشية وطيور السماء ... والبغال والاغنام والجمال صغيرة وكبيرة) [٧٥]. كما اخذ الضرائب والاتاوات من الملكة شمسة اذ نقرأ: (اخضعت شمسة ملكة العرب ... واستلمت منها الجمال كاتاوة ...)[٧٦].

وفي نص اخر يذكر كميات كبيرة من الضرائب على الملكة شمسة (... ٣٠٠٠٠ جمل و ٥٠٠٠ رزمة نباتات عطرية... وجرار ملكية ذهب...) [٧٧]. كما ورد ذكر مواد وكميات مختلفة

اذ نقرأ: (ذهب وفضة ونوقا وجمالا...) من قبائل عربية اخرى موسى وتيماء وبدنة... [٧٨]. وهذه الكميات الكبيرة من الضرائب على القبائل العربية تبين مدى اهتمام الملوك الاشوريين بالمنطقة والمنفعة الاقتصادية التي يمكن الحصول عليها [٧٩]. وفي عصر سرجون فرض الاتاوة على القبائل العربية ومنها ثمود والملكة شمسة ومن اهم الضرائب التي وردت الذهب والجمال وعمل على ترحيل اعداد كبيرة من العرب الى السامرة في فلسطين من اجل اخضاعهم من جهة والسيطرة على الطرق التجارية من جهة اخرى وخاصة التوابل والبخور وجهد على تحويل مسار القوافل التجارية وعدم مرورها قدر الامكان من المنطقة من اجل ابعاد غارات القبائل العربية [٨٠]. كما عمل على ترحيل قبائل عربية الى منطقة العريش وجعل لبان (laban) مسؤولا عليهم ليضمن استقرارهم [٨١].

تعاظم دور القبائل العربية كثير واصبحت تهدد امن وسلامة تجارة بلاد اشور مع الخليج العربي وبلاد الشام مما حدى سنحاريب في السنة الاولى من حكمة تجريد حملة عسكرية والحق الهزيمة بهم واخذ الجزية إذ نقرأ: (... أخذت عرباتهم وجمالهم ...) وجهز حملة عسكرية ضد القبائل العربية ليضمن استقرارهم وعدم اعتدائها على القوافل التجارية الاشورية[٨٢].

وحقق سنحاريب انتصارات على القبائل العربية واخضعها وبذلك ضمن ولاء القبائل العربية واطلق على احد بوبات نينوى اسم بوابة الصحراء التي تجلب منها هدايا شعب تيماء[٨٣].

وتزداد الاهمية الاقتصادية لشبة الجزيرة العربية في عصر اسرحدون اذ بدء سياسة كسب ود العرب واستخدمهم في حروبه من اجل السيطرة على مصر مقابل تقديم الطاعة والولاء وفرض الجزية ولضمان سيطرته على العرب نصب تبوعة وزاد عليها الجزية بمقدار ٦٥ جملاً وعشرة مهور [٨٤].

ونتيجة لزيادة الجزيرة بمقدار كبير على القبائل العربية وانشغال القوات الاشورية في صراعات اخرى تمرد حزائيل مما ادت بالنتيجة الهجوم عليه مرة ثانية الا انه هرب اذ يذكر (... و ١٠ منا ذهب والف من الاحجار الكريمة و٥٠ جمل و١٠٠٠ رزمة من الطيوب...) فرضت على حزائيل ملك العرب وفي حملة اخرى يذكر قتله ثمانية ملوك واستولى على الالهة والممتلكات وحملها الى نينوى[٨٥].

وكذا الامر لدى الملك اشور بانيبال اذ يذكر مدى مقدار الضرائب والغنائم التي يحصل عليها من بلاد العرب واخذه الجنود والجمال والاغنام والحمير بأعداد كبيرة لا حصر لها وفي حملة ضد الانباط والقيداريين يذكر غنام كثيرة وخاصة الجمال ووزعها على سكان بلاد اشور اذ يقول (وزعت الجمال كالأغنام على بلاد اشور وبيعت الجمال في السوق بشيقل ونصف واعطى العمال الجمال وللعبيد هدايا ولعاملي الخمر اعطيت كأجرة الجمال ...)[٨٦].

الخاتمة

بعد البحث في موضوع الاستراتيجية الاشورية تجاه الجزيرة العربية توصلنا الى عدة نقاط رئيسة جعلت الاشوريون يولون الجزيرة اهمية خاصة في سياستهم:

١. تعد الجزيرة العربية أكبر شبه جزيرة في العالم وأطلق عليها الجغرافيون العرب جزيرة العرب. ومن الظواهر الجغرافية لشبة الجزيرة العربية هي الحرار التي تكثر بسبب البراكين والدهناء وتشمل مساحة واسعة من الاراضي والنفوذ وهي مناطق جافة والدراء وتحتوي على الرمال واراضي سهلية.

٢. بنيت الاستراتيجية تجاه الجزيرة العربية على محددات عدة منها السياسية اذ جرد الملوك الاشوريون حملات متواصلة ضد العرب والقبائل العربية التي اصبحت تهدد السياسية الخارجية الاشورية وأصبح من المحتم فرض السيطرة عليهم واخضاعهم. بعد التمردات والعصيان وتهديدهم الطرق التجارية بين بلاد الشام وفلسطين وبلاد اشور.

٣. ان الحملات التي شنها الاشوريون تعبر عن العبقرية الاشورية الفذة للسيطرة على التجارة والقوافل التجارية وخاصة دومة الجندل باعتبارها المحطة الاساس التي ترتبط بالحيرة ودمشق والمدينة المنورة. ونتيجة لهذه الاستراتيجية الحازمة ذات البعد العسكري ضمن الملوك الاشوريون وخاصة سنحاريب ولاء القبائل العربية وخضوع ممالكها وازدادت المصالح المشتركة بين الطرفين.

٤. اما المحدد الاقتصادي للاستراتيجية الاشورية تجاه الجزيرة العربية فقد خاض الاشوريون حروب عدة لإحكام السيطرة على الطرق التجارية ومنافذها ومراكز الثروات المهمة وقد أدرك الاشوريون ان طرقا هامة للتجارة تخترق شمالي شبه الجزيرة العربية تسيطر عليها الممالك والقبائل. وقد تعاظم دور القبائل العربية كثير واصبحت تهدد امن وسلامة تجارة بلاد اشور مع الخليج العربي وبلاد الشام.

الهوامش

References

(١) عبدالحميد، سعد زغلول، تاريخ العرب قبل الاسلام، (بيروت. ١٩٧٦)، ص ٦٢؛ الحمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، (بغداد ، ١٩٨٩)، ص ٣٩.

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٢، (بيروت ، ١٩٩٣)، ص ١٤٠.

(٣) عامر، جمال سليمان علي، الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الزقازيق، ٢٠١٠)، ص ٤.

(٤) علي، جواد علي، المصدر السابق، ص ١٤٣.

(٥) الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، (الموصل ، ١٩٩٤)، ص ١٥.

(٦) عامر، جمال سليمان علي، المصدر السابق، ص ٤.

(٧) الفيروز ابادي، محي الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ، ج٨ ، (بيروت ، ب.ت)، ص ٧٨.

(٨) حمزة، فؤاد، قلب الجزيرة العربية، الرياض، ١٩٦٨، ص ١٨.

(٩) جواد، علي، المصدر السابق ، ص ٢٠.

(١٠) نامي، خليل يحيى، العرب قبل الاسلام، (القاهرة، ١٩٨٦)، ص١٠٢ .

(١١) الشريف، احمد ابراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، (القاهرة، ب.ت)، ص ص ١٦ – ١٨.

(١٢) الملاح، هاشم يحيى، المصدر السابق، ص ص ٢١ – ٢٢.

(١٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، (بيروت، ١٩٥٥)، ص ٣٠.

(١٤) علي، جواد، المصدر السابق، ص ص ١٧٤– ١١٨١.

(١٥) نامي، خليل يحيى، المصدر السابق، ص ١٥.

(١٦) مهران، محمد بيومي، تاريخ العرب القديم، (الاسكندرية، ١٩٨٩)، ص ٩٩٠.

(١٧) غالب، عارف أحمد، صلات العراق بشبه جزيرة العرب من سنة (١٠٠٠– ٥٣٩ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد، ١٩٩٢)، ص ١٣٠.

(١٨) عامر، جمال سليمان علي، المصدر السابق، ص ٧.

(١٩) باوزير، سعيد عوض، تاريخ الجزيرة العربية، (عدن، ١٩٦٦)، ص ٩.

(٢٠) عبدالحميد، سعد زغلول، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٢١) عامر، جمال سليمان علي، المصدر السابق، ص ٨.

(٢٢) الملاح، هاشم يحيى، المصدر السابق، ص ص ٢٧– ٢٩.

(٢٣) الملاح، هاشم يحيى، المصدر السابق، ص ص ٢٧– ٢٩.

(٢٤) ابو قحف، عبد السلام، اساسيات الادارة الاستراتيجية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٠)، ص ٢٥٩.

(٢٥) ساكز، هاري، قوة آشور، ترجمة عامر سليمان، (بغداد، ١٩٩٩)، ص ص ٣٧٣ – ٣٧٥.

(٢٦) محمد، نبيل محمد نور الدين حسين، الحملات العسكرية الآشورية: دوافعها ونتائجها في ضوء النصوص المسمارية المنشورة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل ، ٢٠٠٦)، ص ١٤.

(٢٧) سومر، دوبونت، "الآراميون"، تعريب الأب البير ابونا، سومر، مج١٩، (بغداد، ١٩٦٣)، ص٦٨.

(28) Charpin ,D.," The History of Ancient Mesopotamian over view", CANE, (New York, 2000), p. 822.

(29)Macdonald, M., C., A.," North Arabia in the First Millennium BCE ",CANE, (New York, 2000), p.1364.

(٣٠) الهاشمي، رضا جواد، الجوانب العسكرية والعلاقات السياسية في تاريخ العرب القديم للألف الاول قبل الميلاد، مجلة الآداب، ع ٣٦، (بغداد ،١٩٨٩)، ص ٢١٢.

(٣١) يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، (بيروت، ١٩٧٩)، ص٤١٠.

(٣٢) غالب، عارف أحمد، المصدر السابق، ص ١٣٠.

(٣٣) الحديدي، احمد زيدان خلف، الملك الآشوري تجلاتبليزر الثالث، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل، ٢٠٠١)، ص ٨١.

(٣٤) رو، جورج، العراق القديم، ترجمة حسين علوان، (بغداد، ١٩٨٤)، ص ٥٧٧.

(٣٥) الحديدي، احمد زيدان خلف، المصدر السابق، ص ٨٣.

(٣٦) غالب، عارف أحمد، المصدر السابق، ص١٣٢.

(٣٧) الحديدي، احمد زيدان خلف، المصدر السابق، ص ٨٣؛

Luckenbill, D.D. Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol, 1, (Chicago– 1926–1927), p 279.

(٣٨) الحديدي، احمد زيدان خلف، المصدر السابق، ص ٨٤.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٨٤.

(40) Musil, A., Arabia Desert, (New York ,1966), pp. 477 – 478.

(٤١) غالب، عارف أحمد، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٤٢) مورتكات، انطوان، تاريخ الشرق الادنى القديم، ترجمة توفيق سليمان، (دمشق، ١٩٦٧)، ص ٣٠١.

(٤٣) محمد، نبيل نور الدين حسين، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٤٤) غالب، عارف أحمد، المصدر السابق، ص١٣٥.

(٤٥) الحديدي، احمد زيدان، الصراع الاشوري مع القبائل الكلدية على السلطة في بلاد بابل، آداب الرافدين، العدد ٥٠، (الموصل، ٢٠٠٨)، ص ٣٣.

Luckenbill, D.D. op. cit., pp. 26–27.

(46) Dougherty, R.P. The Sealand of Ancient Arabia, (London, 1964), p. 87.

(٤٧) حبيب، طالب منعم، سنحاريب سيرته ومنجزاته، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ٨٢.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(49) Johns, Ch. H.W. Ancient Assyria, (London, 1952), p.138.

(50) Ephal, I., The Ancient Arabs 9-5 Centuries B. C., 1984, p.42.

(٥١) غالب، عارف أحمد، المصدر السابق، ص ١٣٧.

(٥٢) حبيب، طالب منعم، المصدر السابق، ص ٨٢.

(53) Musil, A., Op. cit., p. 48.

(٥٤) غالب، عارف أحمد، المصدر السابق، ١٣٩.

(٥٥) الفتلاوي، احمد حبيب سنيد، اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة واسط، ٢٠٠٦)، ص ١٢٦.

(٥٦) حتي، فليب، وجرجي، ادور حبور، جبرائيل، تاريخ العرب، (بيروت، ١٩٧٤)، ص ٦٧.

(٥٧) الهاشمي، رضا جواد، الجوانب العسكرية والعلاقات السياسية في تاريخ العرب القديم للألف الأول قبل الميلاد، مجلة الآداب، العدد ٣٦، (بغداد، ١٩٨٩)، ص ٢١٦

(٥٨) الكيلاني، لمياء والآلوسي، سالم، أول العرب من القرن التاسع وحتى القرن السادس قبل الميلاد، (بيروت،١٩٩٩)، ص ٣٣.

(٥٩) الهاشمي، رضا جواد، العرب في ضوء المصادر المسمارية، مجلة الآداب، العدد ٢٢، (بغداد ١٩٧٨)، ص ٦٥٠.

(60) Ephal. I, op. cit., p.128.

(٦١) الفتلاوي، احمد حبيب سنيد، المصدر السابق، ص ١٣١.

(62) Dougherty, R.P., op. cit., p.88.

(٦٣) الفتلاوي، احمد حبيب سنيد، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(64) Luckenbill, D.D., op. cit., p. 538 .
(65) Luckenbill, D.D., vol ,2, op. cit., p. 312.
(66) Ibid., p. 312.

(٦٧) الهاشمي، رضا جواد، "الانباط ودورهم في التجارة العربية القديمة "، ص ٣٥.

(٦٨) الدوري، رياض عبد الرحمن امين، اشور بانيبال سيرته ومنجزاته، (بغداد، ٢٠٠١)، ص ١٢٩.

(٦٩) غالب، عارف أحمد، المصدر السابق، ١٤٨.

(70) Luckenbill, D.D., vol ,2, op. cit., p.314.

(٧١) حسين يوسف حازم، الملك شلمنصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل، ٢٠٠١)، ٤٥.

(٧٢) جاسم، صفوان سامي سعيد، التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل، ٢٠٠٦)، ص ٢٦٨.

(٧٣) الكيلاني، لمياء، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٧٤) باقر، طه، علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب، سومر، مج٥، ج٢، (بغداد، ١٩٤٩)، ص ١٥٦.

(٧٥) محمد، نبيل محمد نور الدين حسين، المصدر السابق، ص ١٢٨.

(76) Luckenbill, D.D., vol ,2, op. cit., p.293.

(٧٧) غالب، عارف احمد، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٧٨) نجم، حسين يوسف، المصدر السابق، ص ص ٨٣-٨٤.

(٧٩) الكيلاني، لمياء، المصدر السابق، ص ص ٣٠-٤٥.

(80) Luckenbill, D.D., vol, 2, op. Cit., p.17.

(٨١) محمد، نبيل محمد نور الدين حسين، المصدر السابق، ص ١٣٠.

(82)Luckenbill, D.D., vol ,2, op. cit., p. 130.

(٨٣) غالب، عارف احمد، المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٨٤) الفتلاوي، احمد حبيب سنيد، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٨٥) الهاشمي، رضا جواد، الجوانب العسكرية...، ص٢١٥.

(٨٦) علي، جواد، المصدر السابق، ص ٥٩٤.